المختار
من
فرائد النقول والأخبار

القسم الأول

اختيار وتعليق
محمّد عوّامة



المختار من

فرائد النقول والأخبار

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَةٌ

الطّبعَةِ الثَانِيَة
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

دار البشائر الإسلاميّة
للطبَاعَة وَالنشر وَالتوزيع بـيروت - لبـنان - ص.ب : ١٤ - ٥٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، والصلاة والسلام على سيدنا محمّد النبيِّ الأميِّ، وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فهذه مجموعةٌ مختارة من كتاب الله عزّ وجل بابِ السعادة وأساسِها؛ ومن سُنَّةِ النبيِّ الكريم ﷺ السراجِ المنيرِ لهداية الخَلْق إلى الحق؛ ومن سيرة أصحابه البدور الصدور؛ ومن طرائف أخبار العلم والعلماء، والقُضاة النُّبَلاء، والصُّلحاء الأتقياء؛ ومن نوادر النُّبَهاء الأذكياء، والأجواد الأسخياء.

كتبتُها للبراعم المؤمنة، والفِتْيَةِ الناشئة، الذين توجَّهوا باختيارهم إلى طلب العلم الشرعي[1] وعكَفُوا بقلوبهم على

---

(١) وكان ذلك سنة ١٣٩٧، وجاء في ثلاثة أقسام، طبعتْ على الآلة الكاتبة.

دراسةِ «قال الله، قال رسوله» فإنه العلم الحقيقي[1].

لذلك تخيَّرتُ هذه النصوص، ملائمةً لهذه الطائفة المختارة، مُوَائمةً لحالهم ومسلكهم ومَنْزِعهم، راجياً منهم الدعاء، ومن الله تعالى الإجابة.

وقد نهجت فيما تخيَّرت:

١ ـ أن يكون جُلُّ ما أذكره متصلاً بالعلم: فضيلتِه وشرفِه، وتعلُّمه ودراستِه، ونشرِه وإشاعتِه، والصبرِ على شدائده ومشاقِّه، وتحبيبه إلى نفوس الناشئة وترغيبهم فيه، وعون الله تعالى لمن وقع في كرب وهو في طلبِه وتحصيله، وذكرِ تشوُّفِ كبراء الأُمة وتطلُّعِ نفوسهم إلى الانتساب إلى شرفه، والاتِّسام بسِمَتِه، **وأن يكونوا من أهله وحَمَلَتِه**...

٢ ـ وجانبٌ آخرُ حَرَصت عليه، هو: ذِكْرُ أخبار الصالحين وحكاياتِهم، وإجابةُ الله تعالى دعواتهم، وإكرامُ الله تعالى لهم ولو كان فيه تغييرُ المألوف المعتاد، ببركة إخلاصهم مع ربهم.

---

(١) العلمُ: قال الله قال رسوله
قال الصحابة، هم أولوا العرفان

فإن «حكايات الصالحين جُنْدٌ من جنود الله» و «عند ذكرهم تنـزلُ الرحمـة» وتزول عن القلب القسـوة، وتتـروَّح الـرُّوح، وتستريح النفْس، وتَرِقُّ الأفئدة، ولا خيرَ في طالبِ علمٍ ليس لـه من ذلك حظٌّ وافـر، ليُخالِطَ حبُّهم سُـوَيداءَ قلبـه، فيحشرَ معهم، فإن «المرء مع مَنْ أحبَّ».

٣ ـ والتزمتُ عَزْوَ كلِّ قول إلى قائله، فإن «من بركة العلم أن تُضِيفَ الشيءَ إلى قائله»[1]، وحَرَصْتُ أن يكون المصدرُ موثوقاً عند أهل العلم، بثقة مصنِّفه.

٤ ـ ولم أتصرَّفْ في لفظ صاحبـه ـ إلا باختصـاره إن كان طويلاً ـ بل التزمتُ نقله بالحرف، إلاّ ما تقتضيه الضـرورة من كُلَيْمـات يسيرة للدخـول على الخبر، وقـد أزيـدُ أثنـاءَ النصِّ التصـريحَ بـاسم المخاطِب والمخـاطَب ـ مثـلاً ـ لتيسيـر فهمِ القصـةِ على القـارىء لهـا لأول مـرة، وأضعُـه حينئـذ بين معترضتين ـ ـ.

٥ ـ ويـرى القـارىءُ كثـرةً في الضبط، وتفسيـراً لبعض

---

(١) «جامع بيان العلم» لابن عبدالبر ٢ : ٨٩، وانظر «بستـان العارفين» للإمام النووي ص ٢٨.

الواضحات، وعذري في ذلك مراعاتي لحال من كتبت من أجلهم هذه المختارات.

وإني لأرجو من وراء قراءة هذه (الطاقة)[1] وتكرارِها، تحقيق أمرين اثنين:

أولهما: غَرْسُ معاني هذه النصوص في نفوسِ القراء عامةً، والناشئةِ منهم خاصةً، فإن قلب الطفل «جوهرة نفيسة ساذَجة» كما قال الإمام الغزالي رحمه الله، أي: إنها تقبلُ كلَّ تأثير ومؤثِّر، فما تزرعُه فيها اليوم تَحصُده منها غداً.

ثانيهما: تقويمُ لسانِ القارىء وقَلَمِه، فإنا قد فَقَدنا اليوم من أقلام كتّابنا الأساليب القويمةَ القوية، وطَغَى عليها أسلوبُ الصِّحافة والإذاعة، ولغةُ أحاديث السَّمَر، والكتابةُ القَصصية المنهارة...

حتى إنك لتقرأ لذوي ألقابٍ علمية عالية، فلا ترى على كتاباتِهم مَسْحةَ الأسلوب العلمي، ولا رَوْنقَ البيانِ العربي، فَتَخالُ نفسك تقرأ في جريدة أو مَجَلَّة!.

فإذا أَلِفَ الناشىءُ قراءةَ نصوصٍ منها ما هو في ذِرْوة

---

(١) الطاقة: مجموعة من الرياحين والورود، أما الباقة: فمجموعة البقول من المقدونس والنعناع ونحوهما.

البلاغة وجوامع الكلم، ومنها ما هو بأسلوب علمائنا الغابرين: فيه الجزالةُ والوضوحُ، والرَّصانة والإشراق. . .

أقول: إذا أَلِفَ الناشئُ هذا الأسلوبَ، وكرَّره، وأبداه وأعاده، فإن ذلك يساعد على الخلاص مما نشكوه.

والله سبحانه وتعالى وليُّ التوفيق، ومانحُ العطيَّات، ومُجزِل الهِبَات.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولأهلينا وذرياتنا إلى يوم الدين، إنك سميع الدعاء، وصلَّى الله وسلَّمَ على الحبيب الشفيع، والحمد لله رب العالمين.

المدينة المنورة ٥/ ٤/ ١٤٠٦ **وكتبه**

محمد عوّامة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى إخوانه النبيين والمرسلين، وآلهم وأصحابهم، وتابعيهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذا هو القسم الأول من كتاب «من فرائد النُّقُول والأخبار» أسأل الله تعالى أن يتفضَّل بإثابةِ جامعه، ونَفْعِ قارئه. إنه سميع مجيب.

محمد عوَّامة



١

أُولو الأَلباب

حالهم، دعاؤهم، جزاؤهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إن في خَلْقِ السَّمَواتِ والأرضِ، واخْتِلافِ الليلِ والنهارِ: لآياتٍ لأُولي الألباب[1]. الذين يَذْكُرون الله قِياماً وقُعوداً وعلى جُنُوبِهم، ويتفكَّرون في خَلْقِ السمواتِ والأرض.

ربَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطلاً، سُبحانَك، فَقِنَا عذابَ النار. ربَّنا إنكَ مَن تُدخِلِ النارَ فقدْ

---

(١) أي: لَعلاماتٍ لأولي العقول السليمة تدلُّهم على الله عزّ وجل. واللُّبُّ: هو العقل الخالص من أيِّ هَوَىً أو ميلٍ وانحراف عن مقتضى العقل السليم.

أَخْـزيتَـه، ومـا للظالمين من أنصـار. ربَّنـا إننـا سَمِعنا مُنادياً يُنادي لـلإيمان: أنْ آمنـوا بربِّكُم، فآمَنّا، ربَّنا فاغْفِـرْ لنا ذُنُـوبَنا وكَفِّـر عنّا سيئـاتِنا، وتَـوَفَّنا مـع الأبرار. ربَّنـا وآتِنا مـا وَعَـدْتَنـا على رُسُلِك، ولا تُخْزِنا يـومَ القيامـة، إنك لا تُخْلِفُ المِيعاد.

فـاسْتَجـابَ لهم ربُّهم أَني لا أُضِيـعُ عَمَـلَ عـامـلٍ منكم: من ذَكَـرٍ أو أُنْثى، بعضُكم من بعضٍ، فـالذين هـاجَروا وأُخْـرِجوا مِن دِيـارهم وأُوذوا في سبيلي، وقاتلوا وقُتِلوا: لأُكَفِّرَنَّ عنهم سيئـاتِهم، ولأُدْخِلَنَّهمْ جناتٍ تَجـري من تحتهـا الأنهـارُ، ثَـوابـاً من عنـد الله. والله عنـده حسنُ الثواب﴾[1].

---

(١) الآيات من سورة آل عمران: الآية ١٨٩ ـ ١٩٥.

من هَدْي القرآن الكريم

٢

عباد الرحمٰن
أوصافهم، جزاؤهم

﴿وعبادُ الرحمنِ: الذين يَمْشُون على الأرضِ هَوْناً، وإذا خاطَبَهم الجاهلون قالوا سلاماً[١]. والذين يَبِيتونَ لربِّهم سُجَّداً وقِياماً[٢]. والذين يقولون: ربَّنا اصرِفْ عنّا عذابَ جهنم،

---

(١) هوناً: متواضعين. والجاهلون: المراد هنا الجهل الأخلاقي، لا الجهل الذي هو ضِدُّ العلم، والجهل الأخلاقي هو السَّفَه. فالجاهلون: هم السفهاء. وسلاماً: أي: قالوا للسفهاء قولاً لطيفاً ليسلموا من سَفَههم وأذاهم. وليس المراد منه السلام المعروف، بمعنى التحية.

(٢) أي: والذين يُمْضُون ليلَهم بالقيام والسجود لله رب العالمين.

إن عـذابَها كـان غَرامـاً[1]. إنها سـاءت مُسْتَقَـرّاً ومُقاماً. والذين إذا أنفقوا لم يُسْرِفوا ولم يَقْتُروا، وكان بين ذلك قَـوَاماً[2]. والـذين لا يَدْعُـون مع الله إلَهـاً آخَرَ، ولا يَقْتُلون النفسَ التي حـرَّم الله إلّا بـالحقِّ، ولا يَـزْنـون، ومَنْ يَفْعَـلْ ذلـك يَلْقَ أَثَاماً[3]. يُضاعَفْ له العذابُ يومَ القيـامةِ ويَخْلُدْ فيهِ مُهاناً. إلّا مَنْ تابَ وآمنَ وعَمِلَ عملاً صالحاً فأولئك يُبَدِّلُ الله سيئاتِهم حَسَناتٍ، وكان الله غفوراً رحيماً. ومَنْ تابَ وعَمِلَ صالحاً فإنه يتوبُ إلى الله مَتَاباً. والذين لا يَشْهدونَ الزُّورَ، وإذا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً[4]. والذين إذا ذُكِّروا بـآياتِ ربِّهم لم يَخِـرُّوا

---

(1) دائماً لازماً. (2) وَسَطاً بين الإسراف والتقتير.

(3) عقـوبة، وهي المـذكورة بقـوله: يضـاعف له العـذاب...، وسبب المضاعفة: كفرهم بالله ومعاصيهم.

(4) يشهدون: يحضرون. والـزور: الكذب. أي: لا يحضـرون مجـالس الكذب. بـل: إنهم إذا مروا بـالكلام السـاقط اللغو الـذي حقُّه أن يلغى ويترك: مـروا بـه وبـأهله كـرامـاً، أي: =

عليها صُمّاً وعُمْياناً[1]. والذين يقولون: ربنا هَبْ لنا من أزواجِنا وذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أعيُنٍ[2]، واجْعَلْنا للمتقينَ إماماً. أولئك يُجْزَونَ الغُرْفَةَ[3] بما صبروا، ويُلَقَّوْنَ فيها تَحيةً وسَلاماً. خالدين فيها، حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً ومُقَاماً. قل: ما يَعْبأُ بكم ربي لولا دُعاؤكم[4]، فقد كذَّبْتم فسوف يكون لِزاماً﴾[5].

= مُكَرِّمين أنفسَهم عن حضوره وسماعه.

(١) لم يخروا: لم يسقطوا، أي: لم يسقطوا عند سماعهم كلام الله تعالى على وجوههم شأنهم شأن الكافرين: في آذانهم صمم، وفي أعينهم عمى، لا، بل يفتحون أعينهم، ويُصْغون بآذانهم إلى كلام الله، شأنهم شأن أولي الألباب: الذين يستمعون القولَ فيتَّبعون أحسَنه.

(٢) أي: أبراراً أتقياء صالحين تُسَرُّ العينُ برؤيتهم.

(٣) الدرجة العالية الرفيعة.

(٤) المعنى: لماذا يعذبكم الله لولا أنكم دعوتم معه آلهة غيره.

(٥) ملازماً لكم. والآيات من سورة الفرقان: ٦٣ ـ ٧٧.

١

فضل من عَلِمَ وعَلَّم

عن أبي موسى الأَشْعريِّ رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال:

«مَثَلُ[١] ما بَعَثني الله به من الهُدَى والعِلمِ كمَثَلِ الغَيثِ الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نَقِيَّةٌ[٢] قَبِلَتِ الماءَ فأَنْبَتتِ الكَلأَ والعُشْبَ[٣] الكثير، وكانتْ منها أجادِبُ[٤] أمسكتِ الماءَ فنفع الله

---

(١) أي: صفةُ، وليس المراد به القولَ السائرَ في الناس.

(٢) أي: أرض طيبة.

(٣) الكلأ: النَّبْت الرَّطْب واليابس، والعشب: النبت الرطب فقط.

(٤) أجادب: جمع جَدَب ـ بفتح الدال ـ وهي الأرض الصُّلْبة.

بهـا الناسَ، فشَـرِبوا وسَقَـوْا وَزَرَعُـوا، وأَصـابَ منها طائفةً أخرى، إنما هي قِيعانٌ[1] لا تُمسِـكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً.

فـذلـك مَثَـلُ من فَقُـه في دينِ الله ونفعَـه مـا بعثني الله بـه فعَلِم وعَلَّم، ومَثَـلُ من لم يـرفـعْ بـذلـك رأسـاً[2]، ولـم يَقْبـلْ هُـدَى الله الـذي أُرْسِلتُ به»[3].

---

(١) جمع قاع، وهي الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت.

(٢) أي: أعرض عنه فلم ينتفع به ولا نفع غيره.

(٣) رواه البخـاري في «صحيحه» كتـاب العلم، بـاب فضـل من عَلِم وعلّم ١: ١٨٥ ـ ١٨٦ من «فتح الباري».

٢

أَثَرُ الجليسِ

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال:

«مَثَلُ الجليسِ الصالحِ والسَّوْءِ: كحاملِ المِسكِ ونافخِ الكِيْرِ.

فحاملُ المسكِ: إما أنْ يُحْذِيَك[١]، وإما أن تَبْتاعَ منه، وإما أن تَجِدَ منه رِيحاً طيِّبة.

ونافخُ الكِيرِ: إما أن يُحْرِق ثيابَك، وإما أن تجدَ رِيحاً خبيثة»[٢].

---

(١) أي: يُعطيَك.

(٢) رواه البخاري في موضعين من «صحيحه» في كتاب البيوع باب في العطار وبيع المسك ٥: ٢٢٧، وفي كتاب الذبائح =

. . . .

= والصيد باب المسك ١٢/ ٨٢ وهذا لفظه.

قال العلامة الحكيم الراغب الأصفهاني في «الذَّريعة إلى مكارم الشريعة» ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦: «حقُّ الإنسان أن يتحرَّى بغاية جُهده مصاحبةَ الأخيار، فهي قد تجعل الشِّرِّير خَيِّراً، كما أن مصاحبةَ الأشرار قد تجعل الخيِّر شِرِّيراً. قال بعض الحكماء: مَن جالس خيِّراً أصابتْه بركتُه فجليسُ أولياء الله لا يَشْقَى وإن كان كلباً ككلب أصحاب الكهف، حيث قال جلَّ وعزَّ: «وكلبُهم باسطٌ ذراعَيْه بالوَصيد».

ولهذا أوصت الحكماء بمَنْع الأحداثِ من مجالسةِ السُّفهاء، وقال أميرُ المؤمنين ـ عليٌّ ـ رضي الله تعالى عنه: لا تَصحبِ الفاجرَ فيزيِّنَ لكَ فعلَه، ويَودُّ أنك مثلُه. وقيل: جالِسوا مَنْ تُذَكِّرُكُمُ الله رؤيتُه، ويزيد في خيركم نُطْقُه.

وقالوا: إياك ومجالسةَ الشِّرِّير، فإن طبعَكَ يَسرِقُ مِن طبعه وأنت لا تدري....

وليس إعْداءُ الجليسِ جليسَه بمَقَاله وفِعَاله فقط، بل بالنظر إليه، فالنظر في الصورِ يؤثر في النفوس أخلاقاً مناسبة إلى خُلُق المنظور إليه، فإن مَن دام نظره إلى مسرور سُرَّ، ومن دام نَظَره إلى مَحْزون حَزِن، وذلك ليس في الإنسان فقط، بل في الحيوان وسائر النبات، فإن الجملَ الصَّعْبَ قد يَصير =

. . . .

= ذَلولاً بمقارنة الذَّلول، والذلول يصير صَعْباً بمقارنـة الصعاب، والرَّيْحانةُ الغَضَّة تذبُلُ بمقارنة الذابلة. . .

ومعلوم أن المـاء والهـواء يفسُـدان بمجـاورة الجيفـة إذا قَرُبَتْ منهما.

وذلك مما لا ينكره ذو تجربة.

وإذا كانت هذا الأشياء قد بلغت في قبـول التأثيـر هذا المبلغ، فما الظنُّ بالنفوس البشرية التي موضوعُها لقبول صـور الأشياء خيرِها وشرِّها؟!».

٣

الرِّحلةُ في طلب العلم

عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رضي الله عنـه، عن النبيِّ ﷺ قال:

«قـام مـوسى النبيُّ ﷺ خـطيبـاً في بـني إسرائيلَ، فسُئِلَ: أيُّ الناسِ أعلمُ؟ فقـال: أنا أعلمُ. فعَتَبَ الله عليه إذْ لم يَرُدَّ العلـمَ إليه[١]، فـأَوحَى الله إليـه أنَّ عبـداً من عبـادي بمَجْمَـع البَحْرين[٢] هو أعلمُ منك.

قال: يا ربِّ وكيف لي به؟.

---

(١) أي: لم يقل موسى عليه السلام للسائل: الله أعلم.

(٢) البحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر.

فقيل له: اِحمِلْ حُوتاً في مِكْتَلٍ[1]، فإذا فَقَدْتَه فهو ثَمَّ[2].

فانطلقَ، وانطلقَ بفتاهُ يُوشعَ بنِ نُونٍ، وحَمَلا حوتاً في مِكتَل، حتى كانا عند الصخرة وَضَعا رؤوسهما وناما. فانسلَّ الحوتُ من المِكْتَل فاتَّخَذَ سبيلَه في البحر سَرَباً[3]، وكان لموسى وفتاه عَجَباً، فانطلقا بقيةَ ليلتِهما ويومَهُما.

فلما أصبح قال موسى لفتاه: آتِنا غَداءَنا[4]، لقد لَقِيْنا من سَفَرِنا هذا نَصَباً[5] ولم يَجِدْ موسى مَسّاً من النَّصَبِ حتى جاوز المكانَ الذي أُمِرَ به.

فقال له فتاه: أرأيتَ إذْ أَوَيْنا إلى الصخرة فإني نسيتُ الحوتَ؟!.

---

(١) هو الزِّنْبِيل.
(٢) فهو ثَمَّ: أي: فهو هناك.
(٣) أي: طريقاً ومسلكاً مستوراً.
(٤) الغَداء: طعام الفطور. (٥) تَعَباً.

قال موسى: ذلك ما كنا نَبْغِ[1]، فارتدّا على آثارهما قَصَصاً[2].

فلما أَتَيا إلى الصخرة إذا رجلٌ مسجًّىً بثوب[3]، فسلَّم موسى، فقال الخَضِر: وأَنَّى بأرضِكَ السلامُ؟[4].

فقال: أنا موسى.

فقال ـ الخَضِر ـ: موسى بني إسرائيل؟.

قال موسى: نعم. هل أَتَّبِعُكَ على أنْ تعلِّمَني مما عُلِّمتَ رُشْداً؟[5].

---

(١) أي: نريد ونطلب.

(٢) أي: رجعا يَقُصّان ويَتْبعان الطريقَ والأثر الذي جاءا منه.

(٣) أي: مغطًى بثوب.

(٤) أي: كيف بأرضك السلام؟ ويؤيده الرواية الثانية: هل بأرضي من سلام؟.

(٥) أي: عِلماً أكون به من الراشدين المهديين. وفي هذا القول من موسى اثنا عَشَرَ وجهاً من وجوه أدب المتعلم مع العالم، انظرها في تفسير الإمام الفخر الرازي.

قال الخَضِر: إنك لنْ تَستطيعَ معيَ صبراً. يا موسى إني على علمٍ من علم الله عَلَّمَنِيهِ، لا تَعْلَمُه أنتَ، وأنتَ على علم عَلَّمَكَهُ الله لا أعلمه.

قال موسى: سَتَجِدُني إن شاء الله صابراً ولا أَعصي لك أمراً.

فانطلقا يمشيانِ على ساحلِ البحرِ، ليس لهما سفينةٌ، فمرتْ بهما سفينةٌ، فكلَّموهم أن يَحْمِلوهما، فعُرِفَ الخَضِرُ، فحَمَلوهما بغير نَوْلٍ[1]، فجاء عُصفورٌ فوقع على حَرْفِ السفينة[2]، فنقر نَقْرةً أو نقرتَيْنِ في البحر.

فقال الخَضِر: يا موسى ما نَقَصَ علمي وعلمُكَ من علم الله إلّا كنَقْرة هذا العُصْفور في البحر[3].

---

(١) بغير أُجْرة وجُعْل.

(٢) حَرْف السفينة: طَرَفها.

(٣) يريد تقليل ما عند البشر من علم، وإلا فلا نقص.

فعَمَـد الخضِرُ إلى لَـوحٍ من ألـواحِ السفينـةِ فَنَزَعه.

فقال موسى: قومٌ حَمَلونا بغيرِ نَوْلٍ عَمَـدتَ إلى سفينتِهم فخرقتَها لِتُغْرِقَ أهلَها؟!.

قال الخَضِر: ألم أقلْ: إنك لنْ تَستطيعَ معيَ صبراً؟!.

قال ـ موسى ـ: لا تُؤَاخِذْني بما نسيتُ.

فكانتِ الأُولى من موسى نسياناً.

فانطلقا، فإذا غلامٌ يلعبُ مع الغِلْمان. فأخذَ الخَضِر برأسه من أعلاه فاقْتَلَعَ رأسَه بيده.

فقـال مـوسى: أقتلتَ نَفْسـاً زَكِيَّـةً[1] بغيـر نَفْسٍ؟![2].

---

(١) أي: لم تُذنب.

(٢) أي: لم يَقتلْ هذا الغلامُ نفساً ليستحقَّ القتلَ بما فعل، فكيف قتلتَه؟.

قال الخَضِر: ألم أقل لك: إنك لن تستطيع معيَ صبراً؟!.

فانطلقا، حتى إذا أتَيَا أهلَ قريةٍ استَطْعَما أهلَها، فأبَوْا أن يُضَيِّفوهما، فوجَدَا فيها جِداراً يريد أن ينقضَّ[1]، قال الخضر بيده فأقامه[2].

قال موسى: لو شئتَ لاتَّخَذْتَ عليه أجراً!.

قال الخضر: هذا فراقُ بيني وبينِك.

قال النبيّ ﷺ: يَرحمُ الله موسى لَوَدِدْنا لو صبر حتى يَقُصَّ علينا من أمرهما»[3].

---

(١) أن يسقط.

(٢) هذا من إطلاق القول على الفعل. أي: فَعَل الخضر وأشار إليه بيده فصلُح واستقام.

(٣) رواه البخاري في مواضعَ من «صحيحه» ثانيها: في كتاب العلم باب ما يُستحب للعالم إذا سئل: أيُّ الناس أعلم؟ فَيَكِلَ العلمَ إلى الله. ١ : ٢٢٨ ـ ٢٣٣ من «فتح الباري».

أثر العلمِ والجهل

عن أبي سعيـدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنـه، عن النبي ﷺ قال:

«كـانَ فيمنْ كـانَ قبلَكُم[١] رجـلٌ قَتَـلَ تسعـةً وتسعينَ نَفْساً. فسأل عن أعلمِ أهـلِ الأرضِ، فدُلَّ على راهبٍ[٢]، فأتاه فقَال: إنه[٣] قَتَلَ تسعةً وتسعين نَفْساً، فهل له من توبةٍ؟.

---

(١) أي: في بني إسرائيل.

(٢) أي: رجلٍ عابد غيرِ عالم.

(٣) الأصل أن يقال: «إني قتلتُ» بضمير المتكلم، لكن استعملَ النبيُّ ﷺ ضميرَ الغـائب تنـزّهـاً وابتعـاداً عن التلفظ بضميـر المتكلم في حـال نسبـة شيءٍ إلى المتكلم غيـرِ مستحسن. أي: ابتعاداً عن أن يقول ﷺ: إني قتلتُ تسعة وتسعين نفساً، =

فقال: لا، فَقَتَلَه، فكمَّل به مائةً.

ثم سأل عن أعلمِ أهلِ الأرض، فَدُلَّ على رجلٍ عالمٍ، فقال القاتلُ: إنه قتلَ مائةَ نفسٍ، فهل له من توبة؟.

فقال ـ العالم ـ: نعم. ومن يَحُولُ بينه وبين التوبةِ؟!.

اِنْطلِقْ إلى أرضِ كذا وكذا، فإن بها أُناساً يَعبُدون الله، فاعبُدِ الله معهم، ولا تَرْجِعْ إلى أرضِك، فإنها أرضُ سَوْء.

فانطلقَ، حتى إذا نَصَفَ الطريقَ[1] أتاه الموتُ، فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذابِ.

= قال: إنه قتل... وهذا من آداب الكلام في حكايةِ ما لا يليق من أفعال الآخرين.

(١) أي: صار في منتصف الطريق ووسطها.

فقالتْ ملائكةُ الرحمة: جاء تائباً مُقْبِلاً بقلبه إلى الله.

وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يَعملْ خيراً قطُّ.

فأتاهم مَلَكٌ في صورةِ آدميٍّ، فجعلوه بينهم، فقال: قِيْسُوا ما بين الأرضَيْنِ، فإلى أيَّتِهما كان أدنى[1] فهو له. فقاسُوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضتْه ملائكةُ الرحمة».

وفي رواية ثانية: «فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت فَنَاءَ[2] بصدره، ثم مات. فاختصمتْ فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فكان إلى القريةِ الصالحةِ أقربَ منها بِشبرٍ،

---

(١) أدنى: أقرب.

(٢) ناءَ بصدره: أقبلَ بصدره.

فجُعِل من أهلها»[1].

---

(١) رواه البخاري في أواخر كتاب أحاديث الأنبياء تحت عنوان «باب» ٧ : ٣٢٤، ورواه مسلم في كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كَثُر قتله ١٧ : ٨٣ بشرح النووي، ولفظ الروايتين له. ويستفاد من الحديث ـ كما في «الفتح» ـ: «فضل التحوُّل من الأرض التي يُصيب الإنسان فيها المعصية، . وفيه: إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقةُ الأحوالِ التي اعتادها في زمن المعصية، . وفيه: فضل العالم على العابد، لأن الذي أفتاه أولاً غلبت عليه العبادة، فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل، وأما الثاني فغلب عليه العلم، فأفتاه بالصواب ودلَّه على طريق النجاة».

أخبار القوم

قال الإمام أبو حنيفة: الحكاياتُ عن العلماء أحبُّ إليَّ من كثير من الفقه، لأنها آداب القوم[1].

وقال الشيخ سيدنا أبو القاسم الجُنَيد رضي الله عنه ونفعنا ببركاته: الحكاياتُ جندٌ من جنود الله، يقوِّي الله بها أبدان المريدين.

وقال الإمامُ المَوَّاقُ في كتابه «سَنَن المهتدين» عن شيخه المَنْتُوْريِّ، بسنده إلى أبي العباس بن العَرِيف، قال:

---

(١) لأن التخلُّق بالآداب والتحلِّيَ بها أهمَّ بكثير من فَرْضيّات الفقه ونوادره.

كنتُ في مجلس أستاذي أبي علي الصَّدَفي أقرأُ عليه الحديثَ، فقرأ يوماً الحديثَ، ثم أغلقَ الكتابَ، وجَعَل يحكي حكاياتِ الصالحين، فوقع في نفسي: كيف يُجيزُ الشيخُ أن يقطعَ حديثَ رسول الله ﷺ ويحكي الحكايات؟! قال: فما تمَّ ليَ الخاطرُ حتى نظر إليَّ الشيخُ شَزْراً[1]، وقال:

ـ يا أحمدُ، الحكاياتُ جندٌ من جنود الله، يُثَبِّتُ الله بها قلوبَ العارفين من عباده.

قال ـ أبو العباس ـ: فما بقي في جَسَدي شَعَرةٌ إلا قَطَر منها العَرَقُ. فلما رآني دَهِشْتُ قال لي:

ـ يا أحمدُ، أين مِصْداقُ ذلك من كتاب الله؟.

---

(١) بطَرَف عينه مُغْضَباً.

قلت: الشيخُ أعلمُ.

قال: قولـه تعالى: ﴿وكُـلًّا نَقُصُّ عليكَ مِن أنباءِ الرُّسُل ما نُثَبِّتُ به فؤادَكَ﴾[1].

وفي هؤلاء قال القائل:

جَمَالَ ذي الأَرْضِ كانوا في الحياة وهُمْ

بعدَ المَمَاتِ جَمَالُ الكُتْبِ والسِّيَرِ[2]

(١) من سورة هود: ١٢٠، والنصُّ من «أزهار الرياض في أخبار عياض» للشهاب المَقَّري ١: ٢٢. وأسند كلمة الجنيد الخطيبُ في «تاريخه» ٣: ٧٥ إلى أبي بكر الكتاني تلميذ الجنيد.

(٢) «فهرس الفهارس» ١: ٥١ لمحدث المغرب السيد عبدالحيّ الكتاني رحمه الله تعالى.

من سيرة الصحابة رضوان الله عليهم

١

أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه

عن عائشةَ رضي الله عنها قالت:

لما اجتمع أصحابُ النبيِّ ﷺ ـ وكانوا ثمانيةً وثلاثينَ رجلاً ـ ألحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظُّهُور، فقال: «يا أبا بكرٍ إنّا قليلٌ» فلم يَزَلْ أبو بكر يُلِحُّ حتى ظَهَر رسولُ الله ﷺ وتفرَّق المسلمون في نواحي المسجد، كلُّ رجلٍ في عشيرته.

وقام أبو بكر خطيباً، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ، فكان أولَ خطيبٍ دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ، وَثَار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضُرِبوا في نواحي المسجد ضَرْباً شديداً،

ووُطِىء أبو بكر وضُرِب ضَرْباً شديداً، ودنا منه الفاسقُ عُتْبةُ بنُ ربيعةَ فجعل يضربه بنعلينِ مَخْصُوفَتَيْنِ ويُحَرِّفُهما لوجهه[1]، ونَزَا[2] على بطن أبي بكر، حتى ما يُعْرَفُ وجهُهُ من أنفه.

وجاء بنو تَيْمٍ يَتَعادَوْنَ[3]، فأَجْلَتْ المشركين عن أبي بكر، وحَمَلتْ بنو تَيْمٍ أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزلَه ولا يَشُكُّونَ في موته. ثم رجعتْ بنو تيم فدخلوا المسجدَ وقالوا: والله لئنْ مات أبو بكر لَنقتلنَّ عتبةَ بنَ ربيعةَ.

فرجعوا إلى أبي بكر، فجَعَل أبو قُحافةَ[4] وبنو تيم يكلِّمون أبا بكرٍ حتى أجاب.

---

(١) خَصَف النعلَ: جَعَل لها نعلاً أُخرى، فتصبح حينئذ ثقيلة مُؤْلمة. وتحريفها للوجه: توجيهُ ضَرَباتِها نحوَ الوجه.

(٢) وثب.

(٣) يتسارعون. وبنو تَيْم: هم قبيلة أبي بكر الصديق.

(٤) هو والد أبي بكر رضي الله عنهما.

فتكلم آخرَ النهار فقال: ما فَعَل رسولُ الله ﷺ؟.

فَمَسُّوا منه بألسنتهم[1] وعَذَلوه، ثم قاموا وقالوا لأمِّه أمِّ الخير: اُنْظُري[2] أنْ تُطْعِميه شيئاً أو تَسقيه إياه!.

فلما خَلَتْ به ألَحَّتْ عليه وجعل يقول:

ما فَعَلَ رسولُ الله ﷺ؟.

فقالت: والله لا عِلْمَ لي بصاحبك.

فقال: اذهبي إلى أم جميلٍ بنتِ الخطاب[3]، فاسأليها عنه.

فخرجَتْ حتى جاءتْ أمَّ جميل.

---

(١) أساؤوا إليه بالكلام. وعَذلوه: لاموه.

(٢) انظري: احذري وانتبهي.

(٣) الظاهر أن أم جميل هي فاطمة، أخت عمر، وزوجة سعيد بن زيد رضي الله عنهم. وقيل: أم جميل اسمها رملة، فهي غير فاطمة. والله أعلم.

فقالت: إن أبا بكر يسألكِ عن محمدِ بنِ عبدِالله؟.

فقالت: ما أعرفُ أبا بكرٍ ولا محمدَ بنَ عبدِالله، وإن كنتِ تُحبينَ أنْ أذهبَ معكِ إلى ابنكِ؟.

قالت: نعم.

فمضتْ معها حتى وَجَدتْ أبا بكر صَرِيعاً دَنِفاً[1]، فدنتْ أمُّ جميل وأعلنتْ بالصياح وقالت:

والله إن قوماً نالوا هذا منكَ لأهلُ فسقٍ وكفرٍ، وإني لأرجو أن ينتقمَ الله لكَ منهم.

قال: فما فَعَلَ رسولُ الله ﷺ؟.

قالت: هذه أمُّكَ تسمع!.

---

(١) الدَّنِف: من لازمه المرض، والمعنى: أنها رأته في حالةِ تعبٍ ومرضٍ شديد كالذي لزمه المرض منذ زمن بعيد.

قال: فلا عينَ[1] عليكِ منها.

قالت: سالمٌ صالحٌ.

قال: أين هو؟.

قالت: في دارِ الأرقم.

قال: فإن لله عليَّ أن لا أذوقَ طعاماً ولا أشربَ شراباً أو[2] آتِيَ رسولَ الله ﷺ.

فأَمْهَلَتاه، حتى إذا هدأتِ الرِّجْلُ وسكنَ الناسُ خرجتا به يتكىءُ عليهما، حتى أدخَلَتاه على رسول الله ﷺ فأكبَّ عليه رسولُ الله ﷺ فقبَّله، وأكب عليه المسلمون، ورقَّ له رسولُ الله ﷺ رِقةً شديدة.

---

(١) العين هنا: الجاسوس. أي: لا تخافي منها فهي مأمونة الجانب.

(٢) «أو» هذه بمعنى: إلاَّ، والفعل المضارع بعدها منصوب بـ «أنْ» المضمرة وجوباً.

فقال أبو بكـر: بأبي وأمي يـا رسولَ الله ليس بي بـأسٌ إلاّ ما نـال الفـاسقُ من وجهي، وهـذه أمي بَرَّةٌ بولدها وأنتَ مباركٌ فادْعُها إلى الله وادعُ الله لها، عسى أن يَستنقذَها بكَ من النار، فدعا لها رسـول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمتْ[1].

---

(١) اسمها: أم الخير سلمى بنت صخر بن عامـر، وهي بنت عمِّ أبي قحافة. والخبـر من «البدايـة والنهايـة» لابن كثير رحمـه الله ٣: ٣٠.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه
رأفته بالأطفال من رعيته

قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما:

قَدِمتْ رُفقةٌ من التجّار، فنزلوا المُصَلَّى[١]، فقال عمر لعبدالرحمن بن عوف: هل لك أن نَحْرُسَهم الليلةَ من السَّرَق[٢]؟.

فباتا يَحْرُسانِهم، ويصلِّيان ما كَتَب الله لهما، فسمع عمرُ بكاءَ صبيٍّ، فتوجَّه نحوَه فقال لأمه: اِتَّقي الله وأَحْسِني إلى صبيِّكِ. ثم عاد إلى

---

(١) هو مكان اجتماع الناس لصلاة العيد، ومصلَّى العيد في المدينة آنذاك هو موضع مسجد الغمامة اليوم.

(٢) أي: السرقة.

مكانه. فسمع بكاءَه فعاد إلى أمه فقال: اِتَّقي الله وأَحْسِني إلى صبيِّك. ثم عاد إلى مكانه. فلما كان من آخر الليل سمع بكاءَه فأتى أمَّه فقال: وَيْحَكِ إني لَأراكِ أمَّ سَوْء، ما لي أرى ابنَك لا يَقِرُّ منذ الليلة؟.

قالت: يا عبدَالله قد أَبْرمتَني[1] منذ الليلةِ، إني أُرِيغه[2] عن الفِطام فيأْبَى.

قال: وَلِمَ؟.

قالت: لأن عمر لا يَفرِض إلاّ للفُطُم.

قال: وكم له؟.

قالت: كذا وكذا شهراً.

قال: ويحكِ لا تُعْجِليه.

فصلى الفجرَ وما يَسْتبينُ الناسُ قراءتَه من

---

(١) أضجرْتَني.

(٢) أحملُه على الفِطام وأُريده منه.

غَلَبةِ البكاءِ. فلما سَلَّم قال: يا بُؤْساً لعمر! كم قَتَلَ من أولاد المسلمين!.

ثم أمر منادياً فنادى: أن لا تُعْجِلوا صِبيانَكم عن الفِطام، فإنا نَفرض لكل مولودٍ في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق: إنا نفرِض لكل مولود وُلد في الإسلام[1].

---

(١) من «طبقات ابن سعد» ٣: ٢١٧.

١

الإمام أبو حنيفةَ رضي الله عنه
سببُ اجتهادِهِ في العلم

عن عبدالعزيز بن خالد قال:

سمعتُ الإمامَ أبا حنيفةَ رضي الله عنه يقول:

كنتُ في أول الأمر لا أدخلُ في هذا العلمِ هذا الدخول[١]، حتى رأيتُ في المنام كأني أَنْبُشُ قبرَ النبيِّ ﷺ وأَستخرجُ عِظامَه وأُؤَلِّفُ بعضَها على بعض، فانتبهتُ من النوم وبي من الغَمِّ والبكاءِ ما الله به عليمٌ، وقلتُ: أنبشُ

(١) يريد: لم أكن أتعمَّق في العلم هذا التعمُّق.

القبورَ وقد جاء فيه ما جاء[1]؟! ثم من بين القبور قبرَ النبيِّ ﷺ؟!.

فأمسكتُ عن الجلوس ولزمتُ البيتَ، وتبيَّن ذلك فيَّ حتى عادني إخواني، فقال بعضهم لي: قد نرى عروقَك سالمةً، ولا نرى فيك أَثَر المرضِ، فكيف هذا؟ فأخبرتُه برؤيايَ. فقال: يكون خيراً إن شاء الله.

فقال: ها هنا صاحبٌ لابن سِيرِينَ عالمٌ بالرؤيا، ندعوه لك؟.

فقلت: لا، أنا آتيه. فأتيتُه.

فقال: هذه الرؤيا لكَ؟.

فقلت: أنا رأيتُها.

فقال: إنْ كان ما تقولُ حقاً لَتَعْمَلَنَّ في إقامة

---

(١) يريد: أنه ورد عن النبي ﷺ التحذيرُ من هذا الفعلِ. واستنكر من نفسه هذا أنه لم يفعله إلاّ في قبر النبي ﷺ!.

السُّنـة عملاً لم يَسبقْـكَ به أحـدٌ، ولَتَدْخُلَنَّ في العلم مَدْخَلاً بعيداً.

فلمـا سمعتُ ذلـك منـه اجتهـدتُ في هــذا العلم هـذا الاجتهادَ. اللهم اجعـلْ عـاقبتَـه إلى خير[1].

---

(١) الخبر من «عقود الجُمانِ في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفـةَ النعمان» لشمس الدين الصالحي ص: ١٧١.

٢

الإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنه
أولُ اتصالِه بالإمامِ مالكٍ

عن الرَّبيعِ بنِ سُليمانَ قال:

سمعتُ الشافعيَّ يقول: خرجتُ من مكةَ فلزمتُ هُذَيْلاً في البادية، أتعلَّمُ كلامها وآخُذ بِلُغَتِها، وكانت أفصحَ العربِ، فأقمتُ معهم مدةً ارحَلُ برحيلهم وأنزلُ بنزولهم، فلما أنْ رجعتُ إلى مكة جَعلتُ أُنْشِدُ الأشعارَ وأَذكرُ أيامَ الناسِ، فمرَّ بي رجلٌ من الزُّهْرِيِّينَ[1] فقال لي:

ـ يا أبا عبدِالله عزَّ عليَّ أن لا تكونَ في العلمِ والفقهِ هذه الفصاحةُ والبلاغةُ!.

---

(١) أي: رجل من بني زُهْرة، إحدى قبائل العرب.

قلت: مَن بَقي ممن يُقصدُ؟.
فقال: مالكُ بنُ أنسٍ سيدُ المسلمين.
قال: فوقع ذلك في قلبي، وعَمَدت إلى «المُوَطَّأ»[1] فاسْتَعَرْتُه من رجل بمكةَ وحفِظتُه.

ثم دخلتُ على والي مكة فأخذتُ كتابَه إلى والي المدينة وإلى مالك بن أنس، فقدِمتُ المدينةَ، فبلَّغت الكتابَ، فلما قرأ والي المدينةِ الكتابَ قال:
يا بنيَّ إنَّ مَشْيِي من جَوْف المدينة إلى جوف مكةَ حافياً راجِلاً[2] أهونُ عليَّ من المشي إلى باب مالك، فإني لستُ أرى الذُّلَّ حتى أقِفَ على بابه!.
فقلتُ: إنْ رأى الأميرُ أنْ يُوجِّه إليه ليحضُر!.

---

(١) اسم كتاب للإمام مالك جمع فيه بعض الأحاديث الثابتة.
(٢) ماشياً على قدميه غيرَ راكب.

فقـال: هيهـاتَ! ليتَ أني إنْ ركبتُ أنـا ومن معي وأصابنا ترابُ العَقِيق[1] يقضي حاجتَنا. . .

فواعدتُه العصرَ، وقَصَدْنا، فتقدَّم رجلٌ وقَـرَع البـابَ، فخرجتْ إلينـا جاريـةٌ سوداءُ فقـال لهـا الأميـر: قولي لمـولاكِ: إنني بالبـاب. فـدخلتْ فأبطأتْ ثم خرجتْ فقالت:

ـ إن مولايَ يقول: إنْ كانتْ مسألـةٌ فارْفَعْهـا إليَّ في رُقعـةٍ حتى يَخرجَ إليـك الجـوابُ، وإنْ كــان للحـديث فقــد عــرفتَ يــوم المجلس. فانْصرِفْ.

فقال لها ـ الأمير ـ: إنَّ معيَ كتابَ والي مكة في مهمٍّ.

فـدخلتْ ثم خـرجتْ وفي يــدهـا كــرسيٌّ،

---

(١) اسم وادٍ بطرف المدينـة المنورة. يـريد الـوالي: ليت مالكـاً يقضي حاجتنا ولو تكلفنا الذهاب إلى ذلك المكان البعيد.

فوضعتْه، فـإذا بمالـكٍ رجلٍ شيـخٍ طُوَال، قـد خرج وعليه المَهابةُ، وهو مُتَطَيْلِسٌ[1] فَدَفَعَ إليـه الكتابَ فبلغ إلى قوله: إن هذا ـ أي الشـافعيَ ـ رجلٌ شريفٌ، من أمـره وحالـه، فتحدِّثُـه وتفعلُ وتصنعُ.

فـرمى ـ مالـك ـ بالكتـاب من يده وقـال: يـا سبحـانَ الله قد صـار علمُ رسولِ الله ﷺ يُؤْخـذُ بالوسائل!.

قـال: فرأيتُ الـواليَ وهو يهـابُه أن يكلِّمَـه، فتقدمتُ إليه.

فقلت: أصلحـك الله إني رجـلٌ مُـطَّلِبيٌّ، من حالي وقِصتي.

---

(١) لابسٌ الـطَّيْلَسان، وهـو هذا المِنـديلُ المتـداوَلُ وَضْعُـه على الرأس حتى أيامنا.

فلما أنْ سَمِع كلامي نظر إليّ ساعةٍ ـ وكانتْ لمالك فِراسةٌ ـ فقال لي:

ـ ما اسْمُك؟.

فقلت: محمد.

فقال: يا محمد اتقِ الله واجتنبِ المعاصي، فإنه سيكونُ لك شأنٌ من الشأن.

فقلت: نعم، وكرامةً.

فقال: إذا كان غداً تجيءُ، ويجيءُ معك مَنْ يقرأُ لك «المُوَطَّأ».

فقلت: إني أقرأُ ظاهراً.

قال: فغدوتُ إليه وابتدأتُ، فكلما تَهَيَّبْتُ مالكاً وأردتُ أن أَقطع، أعجبه حُسنُ قراءتي وإعرابي[1] يقول:

---

(١) الإعراب هنا: البيان، أي: يقرأ قراءة فصيحةً بيِّنة الحروف والكلمات.

ـ يا فتى زِدْ.

حتى قـرأتُه عليـه في أيامٍ يسيـرة. ثم أقمتُ بالمدينـة إلى أن تُوفي مـالك بن أنس رضي الله عنـه[1].

(١) الخبر من «مناقب الشافعي» للبيهقي ١ : ١٠٢ ـ ١٠٣.

٣

أَثَر صحبةِ العلماء

قال عبدالله بن أبي موسى التُّسْتَري:

قيل لي: حيثما كنتَ فكنْ قُرْبَ فقيه.

قال: فأتيتُ بَيـروتَ إلى الأوزاعي، فبينا أنـا عنده إذْ سألني عن أمري؟ فأخبرته ـ قـال: وكان [مجوسياً ثم] أسلم ـ.

فقال لي: أَلكَ أبٌ؟.

قلت: نعم، تركتُه بالعراق، مجوسيٌّ.

قـال: فهل لـك أن تَـرْجِـع لعـل الله يهـديـه [على] يديك؟.

قلت: تَرَى لي ذاك؟.

قال: نعم.

فأتيتُ أبي فوجدتُه مريضاً.

فقال لي: يا بنيَّ أيُّ شيءٍ أنتَ عليه؟.

فأخبرته أني أسلمت.

فقال لي: فاعْرِضْ عليَّ دينك.

فأخبرته بالإسلام وأهله.

قال: فإني أُشْهِدك أني قد أسلمت.

قال: فمات في مرضه ذلك، فدفنتُه، ورجعتُ إلى الأوزاعي فأخبرته[1].

---

(١) القصة في «التاريخ الكبير» لابن أبي خيثمة، الورقة ١٧/ آ من الجزء الخمسين، من مخطوطة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، وما بين المعكوفين زيادة مني.

مَنْ أعزُّ الناس

في سيرة الإمام أبي زكريا يحيى بنِ زيادٍ الفَرّاءِ[1]:

كان المأمونُ ـ الخليفةُ العباسيُّ ـ قد وكَّل الفَرَّاءَ يُلَقِّن[2] ابْنَيْه النَّحْوَ، فلما كان يوماً أراد الفَراءُ أن ينهضَ إلى بعضِ حَوائجه، فابْتَدَرا[3] إلى نعلِ الفراء يقدِّمانه له، فتنازعا أيُّهما يقدِّمُه، ثم اصْطَلَحا على أن يقدِّمَ كلُّ واحدٍ منهما فَرْداً، فقدَّماها.

---

(١) كان من أئمة اللغة العربية، ورواة الحديث الثقات، وكانت وفاته سنة سبع ومائتين.

(٢) يلقِّن: يعلِّم.

(٣) ابتدرا: أسرعا.

وكان المأمونُ له على كـلِّ شيءٍ صاحبٌ[1]، فـرَفَع ذلـك إليه في الخبـر، فوجَّـه[2] إلى الفراء فاستدعاه، فلما دَخَل عليه قال له:

من أعزُّ الناس؟.

قال: ما أعرِف أعزَّ مِن أميرِ المؤمنين.

قـال: بلى! مَن إذا نَهَضَ تَقَاتَـل على تقديم نَعْلَيْه وليَّـا عَهْـدِ المسلمين، حتى رضي كـلٌّ واحد أن يقدِّم له فَرْداً!.

قال: يا أمير المؤمنين لقد أردتُ منعَهمـا عن ذلـك، ولكنْ خشيتُ أنْ أدفَعَهما عن مَكْـرُمـة[3] سَبَقـا إليها، أو أكْسِـر نفـوسَهمـا عن شـريفـة[4]

---

(١) صاحبٌ: أي: موظفٌ ومراقبٌ.

(٢) وجَّه إليه: أرسل إليه.

(٣) المكرمة: الفعل الحسن المحمود.

(٤) الشريفة: يريد: خَصْلة ترفع من قَدْر فاعلها.

حَـرَصا عليهـا، وقد يُـروى عن ابن عبـاس أنـه أَمْسَك للحسن والحسين رِكابَيْهما[1] حين خرجـا من عنـده، فقال لـه بعضُ مَن حَضَـر: أَتُمْسِـكُ لهذين الحَدَثَيْن[2] ركابَيْهما وأنت أَسَنُّ منهمـا؟! قـال له: اُسْكُتْ يـا جاهـلُ، لا يعـرفُ الفضـلَ لأهلِ الفضِل إلا ذَوُوْ الفضل.

قـال لـه المـأمـون: لـو مَنَعْتَهمـا عن ذلـك لَأَوْجَعْتُـك[3] لَوْمـاً وعَتْبـاً، وأَلـزمْتُك ذَنْبـاً، ومـا وَضَـع مـا فَعَـلاه مِن شَـرَفهمـا، بـل رَفَـع مِن قَـدْرِهما، وبيَّن عن جـوهرهمـا، وقـد ثَبَتَتْ لي

---

(١) الركاب: المكان الذي يضع الفارس فيه قدميه حين يركب فرسه.

(٢) الحَدَثُ: الشابُّ.

(٣) هكـذا في المصـدر المنقـول عنـه، ولعـل الصـواب: لأوسعتك.

مَخِيْلَةَ الفِراسة[١] بفعلهما، فليس يَكْبُر الرجل - وإنْ كان كبيراً - عن ثلاث: عن تواضُعه لسلطانِه، ووالدِه، ومعلِّمِه العلمَ؛ وقد عوَّضتُهما عما فَعَلاه عشرين ألفَ دينارٍ، ولك عَشَرُة آلافِ درهمٍ، على حُسْن أدبك لهما[٢].

---

(١) المَخِيلة: الظنّ. والفِراسة هنا: التعرف على طبائع إنسانٍ ما من ظاهره. يريد: أنه كان يتوسَّم في ولديه خُلُقاً كريماً، فقد بان له منهما ما كان يظنه فيهما.

(٢) من ترجمة الفراء في «تاريخ بغداد» ١٤ : ١٥٠ للخطيب.

من أخبار الصبر على العلم

١

وعانَقَ المجدَ مَنْ أَوْفَى . .

قـال أبو نصرٍ هـارونُ بنُ مـوسى بن جَنْـدلٍ النَّحْويُّ المتوفَّى سنة ٤٠١ هـ :

كنا نختلِفُ[1] إلى أبي علي البغداديِّ رحمـه الله[2] وقتَ إملائه «النوادر»[3] بجامـع الزَّهـراء، ونحن في فصل الربيـع، فبينا أنـا ذات يومٍ في

---

(١) أي : نتردد إليه لحضور مجلسه.

(٢) أبو علي البغدادي : هو أبو علي إسماعيل بن القاسم القاليُّ، نسبة إلى قالي قَلا، المتوفَّى سنة ٣٥٦، أقام في بغـداد زمناً، فلمـا رحل إلى الأنـدلس قيل لـه : البغدادي، وكـان من أئمة اللغة والعربية والأدب.

(٣) «النـوادر» هـو أشهـر كتب أبي علي القـالي، ويعـرف أيضـاً بـ «أمـالي أبي علي القالي» وهـو مـطبـوع في جـزأين، ولأبي =

بعض الطريق، إذْ أَخَذَتْني سَحَابةٌ[1]، فما وصلتُ إلى مجلسه رحمه الله إلا وقد ابتلَّتْ ثيابي كلُّها، وحَوَالَيْ أبي عليّ أعلامُ أهلِ قُرْطُبَة، فأمرني بالدُّنُوِّ منه وقال لي:

مهلاً يا أبا نصر! لا تأسَفْ على ما عَرَض لك، فهذا شيء يَضْمَحِلُّ عنك بسرعة: بثيابٍ غيرِها تُبَدِّلُها، ولقد عَرَض لي ما أبقى بجسمي نُدُوباً[2] تَدْخُلُ معيَ القبرَ!.

ثم قال لنا:

كنتُ أختلِف إلى ابن مجاهدٍ رحمه الله[3]،

= عبيد البكري المتوفَّى ٤٨٧ «التنبيه على أوهام أبي علي القالي» طبع في مجلد، وله شرح عليه سماه «سِمْط اللآلي» طبع في مجلدين كبيرين.

(١) أي: أصابني مطر شديد فَجْأَةً.

(٢) النُّدوب: جمع نَدَبة، وهي: أثر الجُرح الباقي على الجلْد.

(٣) هو الإمام المقرىء أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادي المتوَفَّى سنة ٣٢٤.

فـأَدْلجتُ[1] إليه لأتقـرَّبَ منه، فلمـا انتهيتُ إلى الـدربِ الـذي كنتُ أخـرجُ منـه إلى مجلسـه أَلْفَيْتُـه[2] مُغْلَقـاً، وراث[3] عليَّ فَتْحُـه، فقلت: سبحـان الله! أبكِّـر هـذا البُكُـورَ وأُغْلَب على القُرب منه[4] !.

فنـظرتُ إلى سِـرْبٍ[5] بـجـنـب الـدار، فاقتحمْتُه[6] ، فلما توسَّطتُه ضـاق بي، ولم أَقْدِرْ على الخروج ولا على النهوض، فاقتحمْتُه أشـدَّ

---

(١) الإدْلاج: السيـر من أول الليل، أو السيـر في أي وقت من الليل شئت.

(٢) ألفيتُه: وجدته.

(٣) راث: أبطأ، يريد: صَعُب فتحه فتأخَّر.

(٤) غُلب عليه: قُهِر. يريد: بكَّـرتُ، لكني تأخـرت، فَسَأُسبَق من قِبَل غيـري، ممن لم يبكِّر تبكيـري، وحينئـذ يَقْـرُبُ مجلسه من الشيخ! فهذا مما يَقْهَر.

(٥) السِّرْب: الطريق المنحدِر.

(٦) اقتحمتُه: رميت بنفسي فيه.

اقتحامٍ حتى نَفَذْتُ بعد أن تخرَّقتْ ثيابي، وأثَّر السِّرْبُ في لحمي حتى انكشف العظم!!. ومنَّ الله عليَّ بالخروج، فوافيتُ[1] مجلس الشيخ على هذه الحال!.

فأين أنتَ مما عَرَض لي؟! وأنشدنا[2]:

دَبَبْتَ للمجدِ، والسَّاعون قد بَلَغوا
جَهْدَ النفوس وأَلْقَوْا دونه الأُزُرا[3]

(١) وافيتُ: أتيت ووصلت.

(٢) لفظ أبي علي في «الأمالي» ١: ١١٣: «وقرأت على أبي بكر بن دريد لبعض العرب». وقال أبو عبيد البكري في «السِّمْط» ١: ٣٣٩: **«هذا الشعر لحَوْط بن رئاب الأسدي، شاعرٌ إسلاميٌّ، وأحسبه أدرك الجاهلية»**.

(٣) دببتَ: مشيتَ على هِيْنتك. والساعون: جمع، مفرده: ساعٍ، وهو من السَّعْي، ومعناه: السير السريع دون الرَّكْض. والأُزُر: جمع إزار.
والمعنى: ألقَوْا عنهم أُزُرَهم قبل أن يصلوا إلى المجد، تخفُّفاً واستعانة على السعي والجَرْي.
وقوله «دببت»: قال البكري في «السِّمط» ١: ٣٣٩ في =

فكابَدوا المجدَ حتى مَلَّ أكثرُهم،
وعانَقَ المجدَ مَنْ أَوْفَى ومَن صَبَرا [1]
لا تَحْسَبِ المجدَ تمراً أنتَ آكِلُه
لن تَبْلُغَ المجدَ حتى تَلْعَقَ الصَّبِرا [2]

= ضبط التاء: «ورواية ابن الأعرابي: «دببتُ للمجد» يعني نفسه، كذلك نقلته من «نوادره» بخط الحامِض أبي موسى أصل أبي علي». وضبطتها بالفتح لمناسبة القصة.

(١) كابَدوا المجد: غالَبوا رِفْعة المجد وصعوباتِه، حتى كلَّتْ قُوَاهم، فملَّ أكثرهم. والمجد: نيل الشرف والوصول إلى معالي الأمور. وعانق المجد: كنايةٌ عن بلوغِ بعضهم لمراده وحصولِه على المعالي التي طَلَبها، وفيه تشبيه بديع. وشَرْط الوصول إلى المجد: أن يُعْطَى حقَّه ومُتَطَلَّباتِه، وهذا هو (مَن أوفى) أي: أعطاه حقَّه ووفّاه إياه. ومِن أهمِّ متطلَّباته: الصبرُ على عقباتِ طريق المجد، لذلك خصَّه بالذِّكْر: «ومن صَبَرا».

(٢) لا تظنَّ أن بلوغ المجد لقمةٌ حلوةٌ سائغةٌ، سهلةُ الوصول إليها، وسهلةُ الأكل، كأكلك للتمر! لا، لن تصلَ إلى المجد حتى تصيبَ الشيءَ الكثيرَ من مرارة العيش: حتى =

قال أبو نصر: فكتبناها عنه من قَبلِ أن يأتيَ موضعُها في «نوادره» وسَلاَّني[1] بما حكاه، وهان عندي ما عَرَض لي من تلك الثياب، واستكثرتُ من الاختلاف إليه، ولم أُفارِقْه حتى مات رحمه الله[2].

= تلعَق الصَّبِر، واللَّعْقُ: أبلغُ من الذَّوق وأكثرُ، والصَّبِر: عُصَارُة شجرٍ مرّ.

(١) سَلاَّني: نسَّاني: جعلني أَنْسى شدةَ ما عَرَض لي بما جرى له.

(٢) الخبر في: كتاب «الصِّلَة» لأبي القاسم بن بَشْكُوال رحمه الله تعالى، ٢: ٦٥٦ رقم الترجمة ١٤٤١.

من أخبار الصبر على العلم

٢

عون الله لأحبابه

قال أبو العباس البكري، من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه: جَمَعَتِ الرِّحلةُ بين محمد بن جرير - الطَّبَري - ومحمد بن إسحاق بن خُزَيمة، ومحمد بن نصر المَرْوَزيّ، ومحمد بن هارون الرُّوْياني بمصرَ، فأَرْمَلوا[1]، ولم يبقَ عندهم ما يَقُوْتُهم[2]، وأضرَّ بهم الجوعُ فاجتمعوا ليلةً في منزل كانوا يأْوون إليه، فاتفق رأيُهم على أن يَسْتَهِمَوا[3]، ويضرِبوا القُرْعة،

(١) أرملوا: نَفِد زادهم.

(٢) يقوتهم: يمسك أبدانهم من شدة الجوع.

(٣) يستهموا: تفسيرها ما بعدها: يضربوا القرعة.

فمن خرجتْ عليه القُرعة سأل لأصحابه الطعام.

فخرجت القُرعـة على محمد بن إسحـاق بن خـزيمة فقـال لأصحابـه: أَمْهِلوني حتى أتـوضـأَ وأصليَ صـلاةَ الخِيَرَةَ[1]، فـاندفـع في الصلاة، فإذا هم بالشُّمـوع، وخَصِيٌّ من قِبَل والي مصـرَ يَدُقُّ الباب، ففتحوا الباب، فنزل عن دابته.

فقال: أيُّـكم محمد بن نصر؟.

فقيل: هو هـذا، فأخـرج صُرَّة فيهـا خمسون ديناراً، فدفعها إليه.

ثم قال: أيُّكم محمد بن جرير؟.

فقـالوا: هـو ذا، فأخـرج صُرَّةً فيهـا خمسون ديناراً، فدفعها إليه.

ثـم قــال: أيكـم محـمــد بن إســحــاق بن خُزَيمة؟.

---

(١) صلاة الخيرة: صلاة الاستخارة.

فقالوا: هو هذا يصلِّي، فلما فَرَغَ من صلاته دفع إليه الصُّرة وفيها خمسون ديناراً.

ثم قال: أيكم محمد بن هارون؟ وفَعَل به كذلك.

ثم قال: إن الأمير كان قائلاً[1] بالأمس، فرأى في المنام خَيَالاً قال: إن المحامد[2] طَوَوْا كَشْحهم[3] جياعاً، فأنفذ إليكم هذه الصِّرار، وأقسم عليكم إذا نَفِدَتْ فابعثوا إليَّ أحدَكم[4].

---

(١) قائلاً: نائماً وقت القيلولة، وهو منتصف النهار.

(٢) المحامد: جمع محمد، وهم الرجال الأربعة.

(٣) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، والمراد هنا: أنهم جياع يسترون جوعهم لا يُعرفون به.

(٤) من «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ٢ : ٢٥١.

٣

الصبر في طلب العلم

قال الحافظُ ابنُ طاهر المقدسيُّ رحمه الله:

أقمتُ بتِنِّيسَ مدةً على أبي محمدٍ[١] بن الحداد ونُظَرائِه، فضاقَ بيَ ـ الأمر ـ فلم يبقَ معي غيرُ درهمٍ، وكنتُ أحتاجُ إلى خبزٍ وكاغَدٍ[٢]، فترددتُ في صَرْفه في الخبز أو الكاغَد، ومَضَى على هذا ثلاثةُ أيامٍ لم أَطْعَم فيها، فلما كان بُكْرَة اليومِ الرابعِ قلتُ في نفسي: لو كان ليَ اليومَ كاغَدٌ لم يُمْكنِّي أن أكتبَ من الجوع.

---

(١) يريد: أقرأ العلم على أبي محمد.

(٢) الكاغد: الورق.

فجعلتُ الدرهمَ في فمي، وخرجتُ لَأشتريَ خبزاً، فَبَلَعْتُه! ووقع عليَّ الضَّحِك، فلقيَني صديقٌ وأنا أضحك، فقال: ما أضحكك؟ قلت: خير. فألحَّ عليَّ، وأبيتُ أن أخبره[1]، فحلفَ بالطلاقِ لَتَصْدُقَنِّي! فأخبرتُه، فأدخَلَني منزلَه، وتكلَّف أَطعمةً.

فلما خَرَجْنا لصلاة الظهر اجتمع به بعضُ وُكَلاء عامِل تِنِّيس[2] ابن قادوسٍ، فسأله عني، فقال: هو هذا. فقال: إن صاحبي - عاملَ تنيس - منذ شهر أَمَرني أنْ أُوصِلَ إليه كلَّ يوم عَشَرَةَ دراهمَ قيمتُها رُبُعُ دينار، وسَهَوتُ عنه؛ فأخذ منه ثلاثمائةِ درهم، وجاء بها - وقال: قد سهَّل الله رزقاً لم يكن في الحساب، وأخبرني

---

(١) أبى من إخباره تَعَفُّفاً.

(٢) العامل: الأمير والوالي.

بالقصة. . . وكان بعد ذلـك يَصِلُني ذلك القَـدْرُ إلى أن خرجتُ إلى الشام ـ[1].

---

(١) القصـة من «سيـر أعـلام النبـلاء» ١٩ : ٣٦٧، ومـا بـين المعترضين آخر القصـة من خـاتمـة «الجمع بين رجـال الصحيحين» ص ٦٣٦.

٤

هجر الملذَّات في سبيل العلم

قال ابن أبي حاتم الرازي الإمام ابن الإمام:

كنـا بمصرَ سبعـة أشهر لم نـأكُلْ مَـرَقاً: كـلُّ نهارِنا مُقَسَّم لمجالسِ الشيوخ، وبالليل: النَّسْخُ والمقـابَلةُ، فـأتينـا يـومـاً أنـا ورفيقٌ لي شيخـاً، فقالوا: هو عَليلٌ.

فرأَيْنا في طريقنا سمكةً أَعجبتْنا، فاشتريناها، فلمـا صِـرْنـا إلى البيت، حضـرَ وقتُ مجلسِ بعضِ الشيوخ، فلم يُمْكنّا إصلاحُهُ[1]، ومَضَيْنـا

---

(١) هكذا ذكَّر الضمير العائد على مؤنث «سمكة»، على تقـدير: رأس سمكة. أو على أنه واحد الحيتان.

إلى المجلس، فلم تَزَل السمكةُ حتى أَتَى عليها ثلاثةُ أيام، وكاد أن يتغيَّر، فأكلْناه نِيْئاً، لم يكن لنا فراغٌ أن نُعطيَه مَنْ يَشْويه. ثم قال: «لا يُستطاع العلم براحة الجَسَد»[1].

---

(١) من «تذكرة الحفاظ» ٣: ٨٣٠ و«سِيَر أعلام النبلاء» ١٣: ٢٦٦، وقوله: «لا يستطاع العلم...» من كلام يحيى بن أبي كثير البصري أسندها إليه مسلم في «صحيحه» ١: ٤٢٨.

٥

حِكَمٌ ووصايا جامعة

١ ـ ما عاقبتَ مَن عَصَى الله فيك بمثل أن تُطيعَ الله فيه.

٢ ـ وضَعْ أَمْرَ أخيك على أَحْسَنِه حتى يَجيئَك منه ما يَغْلِبُكَ.

٣ ـ ولا تَظُنَّنَّ بكلمةٍ خرجتْ من مسلم شَراً وأنتَ تجدُ لها في الخير مَحْمِلاً.

٤ ـ ومن كَتَم سِرَّه كانت الخِيَرَةُ بيده.

٥ ـ ومن عرَّض نَفْسَه للتُّهَمة فلا يلومنَّ مَنْ أساءَ به الظنَّ.

٦ ـ وعليك بإخوان الصِّدْق، تَعِشْ في

أكنافهم، فإنهم زينةٌ في الرخاء وعُدَّةٌ في البلاء.

٧ ـ ولا تَهَاوَنوا بالحَلِف بالله عز وجل فَيُهينَكُم الله.

٨ ـ ولا تسألْ عما لم يكنْ، فإن فيما قد كان شُغُلاً عما لم يكن.

٩ ـ ولا تَعرِضْ لما لا يَعْنيك.

١٠ ـ وعليك بالصدق، وإن قَتَلَك الصدق.

١١ ـ ولا تطلبْ حاجَتَك إلى من لا يُحبُّ نجاحَها لك.

١٢ ـ واعتزِلْ عدوَّك.

١٣ ـ واحذرْ صديقك إلا الأمينَ، ولا أمينَ إلَا من خَشي الله.

١٤ ـ ولا تصحبِ الفجَّار، فَتَعَلَّمَ من فجورهم.

١٥ ـ وذِلَّ عند الطاعة.

١٦ ـ واسْتَعْصِم عند المعصية.

١٧ ـ وتَخَشَّعْ عند القبور.

١٨ ـ واستَشِرْ في أمرك الـذين يخشون الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿إنما يَخشَى اللّهَ من عباده العلماءُ﴾[1].

---

(١) أسند هذه الوصايا والحكم ابنُ النجار في «ذيل تاريخ بغداد» ٢ : ٢٣١، أسندها إلى سعيد بن المسيب قال: «وضع عمر بن الخطاب للناس ثماني عَشْرَةَ كلمةً، حِكَمٌ كلُّها» وذكرها، لكن في السند يعقوب بن الوليد الأزدي وقد حَكَم عليه الإمام أحمد وغيره بالكذب والوضع، فلذا لم أنسُبْها في صدر الكلام إلى سيدنا عمر رضي الله عنه، إنما ذكرتُها على أنها حِكَمٌ، لعظيم فائدتها.

من أخبار الصالحين
١

يا أرحم الراحمين

قـال الإمامُ الليثُ بن سعـدٍ رضي الله عنـه: بَلَغني أن زيـدَ بنَ حارثة ـ الصحـابيَّ الشهيـر ـ اكْتَـرى[1] من رجل بَغْـلاً من الـطائف، اشتـرط عليه المُكْرِي أن يُنْزِله حيثُ شاء.

قال: فمال به إلى خَرِبَـةٍ[2]، فقال له: انزِلْ. فنزلَ، فإذا في الخَربة قَتْلى كثيرةٌ.

قال: فلما أراد أن يقتُلَه قال له ـ زيد ـ: دَعْني أصلِّ ركعتين.

---

(١) اكترى: استأجر، والمكري: المُؤْجِر.

(٢) الخَرِبة: موضع الخراب.

قال ـ المُكْرِي ـ: صَلِّ، فقد صلَّى قبلك هؤلاء فلم تَنْفَعْهم صلاتُهم شيئاً.

قال ـ زيد ـ: فلما صليتُ أتاني لِيقتُلَني، فقلت: يا أرحم الراحمين. قال: فسمع صوتاً: لا تَقْتُلْه. فهاب ذلك، فخرج يطلُبُ[1]، فلم يجدْ شيئاً، فرجع إليَّ، فناديتُ: يا أرحم الراحمين. فعل ذلك ثلاثاً.

فإذا أنا بفارس على فَرَس في يده حَرْبةُ حديدٍ في رأسها شُعْلةٌ من نار، فطَعَنه بها فأَنْفَذَه من ظهره، فوقع مَيْتاً.

ثم قال ـ الفارس ـ لي:

لما دعوتَ المرةَ الأُولى «يا أرحم الراحمين»: كنتُ في السماء السابعة.

---

(١) أي: يبحث ليرى مَن المتكلم.

فلما دعوتَ المرة الثانية «يا أرحم الراحمين» كنتُ في سماء الدنيا.

فلما دعـوتَ في المـــرة الثـالثــة «يـا أرحم الراحمين»: أتيتُك[1].

(١) الخبر من «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ١ : ٥٤٨ للإمام ابن عبد البرِّ رحمه الله تعالى، آخر ترجمة زيد بن حارثة.

من أخبار الصالحين

٢

أبو مسلم عبدُ الله بن ثُوَبٍ الخَوْلَانيُّ رضي الله عنه

عن شُرَحبيلَ بنِ مسلمٍ أن الأسودَ بنَ قيسٍ العَنْسيَّ الكذابَ لما ادَّعَى النبوةَ باليمن، بعث إلى أبي مسلم الخَوْلاني، فلما جاءه قال:

- أَتَشْهَدُ أني رسولُ الله؟.

قال أبو مسلم: ما أسمع[1].

قال الأسود: أتشهدُ أن محمداً رسول الله؟.

---

(١) قال الإمام النووي في المصدر المنقول عنه: «قوله «ما أسمع» يحتملُ معناه: لا أقبل، ويحتملُ أن الله سدَّ مسامعَه عن هذا الباطل. واقتصرَ بعضُ الأئمةِ على الاحتمال الأول، والثاني عندي أظهر» انتهى باختصار يسير.

قال: نعم.

فردّد ذلك عليه.

فـأمر بنـارٍ عظيمـة فأُجِّجَتْ، فـأَلقَى فيها أبـا مسلم، فلم تَضُرَّه. فقيل لـلأسود: اِنْفِـهِ عنك، وإلّا أفسدَ عليك مَنْ تَبِعَك.

فـأمره بـالرَّحيـل، فـأتى أبـو مسلم المـدينـةَ وقـد تُوفي رسـولُ الله ﷺ، واستُخْلِف أبـو بكـر رضي الله تعالى عنه.

فأناخَ أبو مسلمٍ راحلتَه بباب المسجد، فقام يُصلي إلى ساريةٍ، فَبَصُـر به عمـر، فقـام إليـه فقال:

ـ مِمَّنِ الرجُلُ؟.

فقال: من أهل اليمن.

قـال عمـر: فلعلكَ الـذي حـرَّقـه الكـذابُ بالنار؟.

قال أبو مسلم: ذلك عبدُالله بنُ ثُـوَب ـ يريـدَ

إبعادَ السُّمْعَة عن نفسه ـ.

قال عمر: نَشَدتُك الله أنتَ هو؟.

قال: اللهم نعم.

فاعتنقه ثم بكى، ثم ذَهب به حتى أَجلسَه فيما بينه وبين أبي بكر فقال:

الحمدُ لله الذي لم يُمِتْني حتى أَراني في أمة محمّد ﷺ مَن فُعِل به كما فُعِل بإبراهيمَ ﷺ خليلِ الرحمنِ[1].

---

(١) من «بستان العارفين» للإمام النووي رحمه الله ص: ٦٣.

٣

من مجابي الدعاء

قال الحافظ الثقة عباسٌ الدُّوْرِيُّ:

حدثنا عليُّ بنُ أبي حَزَارةَ ـ جارُنا ـ قال:

مرضتْ أمي وأُفْلِجَتْ وأُقْعِدتْ من رِجْليها دهراً ـ نحو عشرين سنة ـ فقالت لي يوماً:

لو أتيتَ هذا الرجلَ: أحمدَ بن حَنْبلٍ، فسألتَه أن يدعوَ الله لي.

قال: فَعَبَرْتُ[1] إلى أحمدَ، فَدَقَقْتُ عليه الباب، وكان في الدِّهْلِيز.

فقال: مَن هذا؟.

---

(١) عبرت: أي: جاوزت نهر دِجْلة من هذا الشاطىء إلى ذاك.

قلت له: يا أبا عبد الله رجلٌ من إخوانك.

قال: وما شأنُكَ؟.

قلت: إن أمي مــريضــةٌ قــد أُقْعِــدتْ مـن رِجْليها، وهي تسألُك أن تدعوَ الله لها.

قــال: فجعل يقــول: يا هــذا فمَنْ يدعـو لنـا نحن؟! قــال ذلـك مــراراً.

فكأني اسْتَحييتُ،فمضيتُ وقلت: سلامٌ عليكم.

فخــرجتْ عجوزٌ من منـزله فقـالت: إني قــد رأيتُـه يحـرِّكُ شَفَتَيْــه بشيء، وأرجـو أن يكــون يدعو الله لك.

قال: فرجعتُ إلى أمي فدقَقْتُ عليها الباب.

فقالت: مَنْ هذا؟.

فقلت: أنا عليٌّ.

فقامتْ ففتحتْ ليَ البابَ!.

فقلت: لا إله إلّا الله! أَيْشٍ[1] القصة؟.

فقـالت: لا أدري، إلّا أنيَ قـد قمتُ على رجليَّ.

فعجبتُ من ذاك وحَمِـدتُ الله عـزَّ وجـلَّ.

قال: وذاك مسافةُ الطريق[2].

---

(١) كلمة عربية مختصرة من كلمتين: أيُّ شيء، وتلازم التنوين.

(٢) القصة من «ذيل تاريخ بغداد» ٣: ٢٤٧ لابن النجار، و«سير أعلام النبلاء» ١١: ٢١١.

أبو علي اللامِشِيّ

قال السمعاني: سمعت أبا بكر الزاهد السَّمَرْقَنْديَّ يقول:

بِتُّ ليلة مع الإمام اللامِشِيّ في بعض بساتينه، فخرج من باب البُستان نصفَ الليل، ومرَّ على وجهه، فقمتُ وتبِعْتُه من حيثُ لا يَعلم، فوصل إلى نهر كبير عميق، وخلَعَ ثيابَه، واتَّزَر بِمِئْزَر، وغاصَ في الماء، وبقي زماناً لا يَرفعُ رأسَه! فظننتُ أنه غَرِق، فصِحتُ وقلت: يا مسلمون غرق الشيخ!.

فإذا بعد ساعة[1] قد ظَهَر، وقال: يا بُنيَّ لا

---

(١) فترة زمنية يسيرة.

تَفْرَق[1].

فقلت: يا سيدي، ظننت أنك غَرِقتَ!.

قال: ما غرقتُ، ولكنْ أردتُ أن أسجد لله سجدةً على أرضِ هذا النهرِ، فإن هذه أرضٌ أظنُّ أن أحداً ما سَجَد لله عليها سجدة![2].

---

(١) في المصدر المنقول عنه بطبعتيه: لا نغرق، وأظن صوابها ما أثبته، يريد أن يُطمئنَه فقال له: لا تخف، لأنه لما ظهر من الماء رأى علائم الخوف عليه فناسب أن يقول له: لا تفرق.

(٢) من «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» ١: ٢١٥ طبعة حيدرآباد، و ٢: ١٢١ طبعة عيسى البابي الحلبي بتحقيق الدكتور عبدالفتاح الحلو.

. . . ولكنْ حبُّ من سَكَن الدِّيارا

قـال القـاضي عِيَـاضُ رحمـه الله في مـدح الحرمين الشريفين والحنين إليهما:

وجديرٌ[1] لمـواطنَ عُمِّرت بـالوحي والتنـزيل، وتَـرَدَّدَ بهـا جبـريـلُ وميكـائيـلُ، وعَـرَجتْ منهـا المـلائكـةُ والـروح، وضجَّت عَـرَصـاتهـا[2] بالتقديس والتسبيح، واشتملتْ تُرْبتُها على جسد

---

(١) وجدير: أي حقيقٌ وواجب. وهو خبر، مبتدأه يأتي بعد أسطر في قوله «أن تُعَظَّـم. .» فـ«أن» وما بعـدها في تـأويل مصـدر مبتدأ «جدير» تقديُره: تعظيم عرصاتها.

(٢) وضجَّت عَـرَصـاتهـا: أي ارتفعت الأصـوات في سـاحـاتهـا الواسعة الفسيحة.

سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر، مدارسُ آياتٍ[1]، ومساجد وصلوات، ومشاهدُ الفضائلِ والخيرات، ومعاهدُ البراهين والمعجزات، ومناسكُ الدين، ومشاعر المسلمين، ومواقفُ سيد المرسلين، ومُتَبَوَّأُ[2] خاتَم النبيين، حيثُ انفجرتْ النبوَّة، وأين فاض عُبَابها[3]، ومواطنُ مهبِط الرسالة، وأولُ أرضٍ مسَّ جِلْدَ المصطفى ترابُها: أن تعظَّمَ عَرَصاتها، وتُتَنَسَّمَ نَفَحاتها،[4] وتقبَّل ربوعها[5] وجُدْرانها:

---

(١) مواضع وأماكن تدرس فيها آيات القرآن الكريم.

(٢) المتبوَّأ: المسكن ومحل الإقامة.

(٣) العُباب: الماء الكثير المتدفِّق.

(٤) يُتَقَصَّد ويتكلَّف شمُّ نسيمها المطيَّب المعطَّر.

(٥) الربوع: المنازل، وأصل معناها: المنازل في الربيع.

يـا دارَ خيـرِ المـــرسلين ومَن بـه

هُــدِيَ الأنــامُ وخُصَّ بــالآيــاتِ

عنـدي لأجلكِ لَـوْعـةٌ وصَبـابـةٌ

وَتَـشـــوُّقٌ مُتَــوَقِّــدُ الـجَمَــرات[1]

وعليَّ عهـدٌ إنْ مَلأتُ مَحَـاجِري

مِن تلكمُ الجُـدُرات والعَرَصـات[2]

لأُعَفِّــرنَّ مَصُــون شيبي بيـنهــا

من كثــرة التقبيـل والــرَّشَفـات[3]

لـولا العـوادي والأعــادي زُرْتُهـا

أبداً، ولو سَحْباً على الوَجَنـات[4]

(١) اللوعة: شدة الحب، والصبابة: نحوها في المعنى.

(٢) المحاجر: جوانب العين، ومَلْؤُها: إكثار النظر إلى ما يمدحه ويحبُّه. والجُدرات: الجدران.

(٣) عفَّر وجهه بـالتراب: أصـاب وجهه منـه. ومَصُون الشيب: من إضافة الصفة إلى الموصوف، يريـد: الشيب المصون ـ وهو المكرَّم ـ. ويريد بالرَّشَفات: التقبيل أيضاً.

(٤) العـوادي: الأمور المـانعة من الـزيـارة، والأعـادي: جمـع عدوّ.

لكن سأُهْدي من حَفيل تحيَّتي
لِقَطين تلك الدار والحُجُرات[1]

أزكى من المسكِ المفتَّقِ نفحةً
تغشاه بالآصال والبُكُرات[2]

وتخصُّه بزواكيَ الصلواتِ
ونواميَ التسليم والبركات[3]

---

(١) الحفيل: ما يُحتفَل به لكثرته ونفاسته. والقطين: الساكن المقيم.

(٢) المسك المفتَّق: المسك المخلوط بغيره من نفائس الطِّيب. نفحة: رائحة. **تغشاه: تغطيه.** الآصال: جمع أصيل، وهو وقت ما بعد العصر وقبل الغروب. والبُكُرات: جمع بُكْرة، وهي أول النهار.

(٣) الزواكي والنوامي: بمعنى واحد، وهو الزائدة المباركة. والنص من «الشفا» للقاضي عياض رحمه الله ٢ : ٦٢٢ تحقيق البجاوي و٢ : ٥٨ بحاشية الشُّمُنِّي، و٣: ٤٣٩ من «نسيم الرياض» للخفاجي.

نصائح

١ ـ قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

---

١ ـ ذكره البخاري في صحيحه ١: ١٦٥ بشرحه «فتح الباري».
ومعناه: تعلَّموا أمور دينكم قبل أن تصيروا سادة المجالس وصدورَها، فإن الجهل قبيح بكل إنسان، ومن صدور المجالس أشدُّ قبحاً.
وأيضاً: تعلَّموا أمورَ دينكم قبل أن تكون سادةً فَتُشْغَلوا بأعمالكم عن تعلُّم العلم.
وكلُّ سيادة لها مجالها، فالزوجُ سيدٌ في بيته، ويكون مَسُوْداً مرؤوساً في غير بيته، وليس مراد سيدنا عمر السيادة المُطْلَقة كالسلطان والملك.
وعلَّق الإمام البخاري بعد أن ذكر قول عمر هذا فقال: وبعد أن تُسَوَّدوا. أي تفقهوا وازدادوا فقهاً وعلماً قبل أن تكونوا سادة وبعد السيادة والرئاسة، فإن التوقُّف عن التعلُّم مذموم وقطيعة عن الخير، وركون إلى الجهل.

تَفَقَّهوا قبل أن تُسَوَّدوا.

٢ ـ وقال يحيى بن أبي كثير البصري أحد التابعين الفضلاء: ميراث العلم خيرٌ من ميراثِ الذهبِ، والنفسُ الصالحة خيرٌ من اللؤلؤ، ولا يُسْتَطاع العِلمُ براحةِ الجِسمِ.

٣ ـ وقال أبو العَيْناء محمد بن القاسم بن خلاد:

مَنْ لم يَركبِ المصاعب لم يَنَلِ الرَّغائب.

---

٢ ـ أسنده إليه الخطيب في «تاريخ بغداد» ١٠ : ١٤٣ ـ ١٤٤، وأسند الجملة الأخيرة فقط الإمامُ مسلم في صحيحه ١ : ٤٢٨.

ومعناها: أن العلم لا يُنال مع راحة الجسم، لا ينال إلا بالتعب والجهد والكدِّ، أما مع الراحة فلن يكون العلم طَوْع إرادتك وتصرُّفك.

٣ ـ أسنده إليه الخطيب في «الفقيه والمتفقِّه» ٢ : ١٥ والمعنى كما تقدم برقم ٢. والرغائب: جمع رَغِيْبَة. وهي الشيء المرغوب فيه.

٤ ـ وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه:

لولا الفَرَق من الله تعالى أن يَضيعَ العلمُ ما أفتيتُ أحداً، يكون له المَهْنَأ وعليَّ الوِزْر!.

٥ ـ وقال الإمام أبو إسحاق إبراهيمُ الحَرْبيُّ رضي الله عنه:

---

٤ ـ رواه عنه الخطيب في «الفقيه والمتفقِّه» أيضاً ٢: ١٦٨.
والفَرَق: الخوف. والمَهْنأ: الهناءة والراحة. يقول: لولا خوفي من الله عز وجل أن أَتَسَبَّبَ في ضياع العلم وموته لما أفتيتُ أحداً، ولصَرَفت عني كلَّ سائلٍ عن حكم شرعي، خشية أن أَتَحَمَّل مسئوليته، لأن الفتوى في دين الله تعالى خلافة عنه في بيان أحكام شريعته، فأكون قد تَحمَّلْتُ المسئولية، وقضيتُ للرجل حاجته واستراح.

٥ ـ من «الفقيه والمتفقه» ٢: ٢٢. وللحربي كتاب «غريب الحديث» طبع بعضه، فلعل هذه الكلمة في مقدمته؟.
ويريد فيها: أن من العلوم الأساسية التي يحتاجها الفقيه: اللغةَ العربيةَ، فينبغي أن تكون له معرفةٌ تامة بها، وإلا خانه الفهم والتفقُّه، فإن اللغة العربية تخلَّلت في علوم الإسلام تخلُّل الروح في الجسد، فلا يَنْفكّان.

من تكلم في الفقه بغير لغةٍ تكلَّم بلسان قصير.

٦ ـ وقال الإمامُ العاقل الحكيم الخليل بن أحمد شيخ النَّحْو والعَرُوض:

لا تَرُدَّنَّ على مُعْجَب خَطَأه، فيستفيدَ منك علماً ويتخذَك عدوّاً.

---

٦ ـ من «المقاصد الحسنة» ص ٤٣٠ للحافظ السخاوي، وأسند نحو هذا اللفظ الخطيب في «الفقيه والمتفقه» ٢ : ١٣٨ إلى تلميذ الخليل أبي عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى.

من أخبار الأجواد

١

إِيثارُ امرأة

قال الواقدي: ضِقْتُ مرةً من المِرار ـ وأنا مع يحيى بنِ خالدٍ البَرْمكيِّ ـ، وحَضَر عيدٌ، فجاءتْني جاريةٌ فقالت:

ـ قد حَضَر العيدُ وليس عندنا من النفقة شيءٌ.

فمضيتُ إلى صديقٍ لي من التُّجَّار، فعرَّفتُه حاجتي إلى القَرْض، فأخرجَ إليّ كيساً مختوماً فيه ألفٌ ومائتا دِرهمٍ، فأخذْتُه وانصرفتُ إلى منزلي، فما استقررتُ فيه حتى جاءني صديقٌ لي هاشِميٌّ[1]، فشكا إليَّ تأخُّرَ غَلَّتِه، وحاجتَه

(١) منسوبٌ إلى جده: هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ الجدِّ الثاني للنبي صلى الله عليه وسلم.

إلى القَـرْض، فـدخلتُ إلى زوجتي فـأخبـرتُهـا فقالت:

ـ على أيِّ شيءٍ عَزَمتَ؟.

قلت: على أن أقاسِمَه الكيسَ.

قالت: ما صنعتَ شيئـاً! أتيتَ رجلاً سُـوْقَةً[1] فأعطاك ألفاً ومائتي درهم، وجـاءك رجلٌ لـه من رسـول الله ﷺ رَحِمٌ ماسَّـةٌ[2] تُعـطيـه نصفَ مـا أعـطاك السُّوقَـةُ؟! ما هـذا شيئاً، أَعْـطِهِ الكيسَ كلَّه.

فـأخرجتُ الكيسَ كلَّه فـدفعتُهُ إليـه، ومَضَى صـديقي التـاجـرُ إلى الهـاشمي ـ وكـان لـه صديقٌ ـ، فسأله القَرْضَ، فأخرجَ الهـاشميُّ إليه الكيسَ، فلما رآه عرفه، وانصرف إليّ فخَبَّـرني بالأمر!.

---

(١) أي: من عامة الناس وليس ذا وَجاهةٍ ومكانة.

(٢) أي: قرابةٌ قريبةٌ.

وجاءني رسولُ يحيى بنِ خالدٍ يقول:

ـ إنما تأخَّر رسولي عنك لشُغْلي بحاجاتِ أمير المؤمنين، فركبتُ إليه، فأخبرتُه بخبر الكيس.

فقال: يا غلامُ هاتِ تلكَ الدنانيرَ.

فجاءه بعَشَرةِ آلافِ دينارٍ. فقال:

ـ خذْ ألفَيْ دينارٍ لك، وألفَينِ لصديقك، وألفَيْنِ للهاشمي، وأربعةَ آلافٍ لزوجتك، فإنها أكرمُكُم[1].

---

(١) من «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ٣: ١٩ ـ ٢٠.

٢

و «من عَجِيب ما يُـرْوَى في هــذا البـاب: أن الفَـرَزْدَقَ دخـل على يـزيـدَ بنِ المُهَلَّبِ، وهــو يُعَذَّبُ في سجن الحَجَّاج، فأنشده:

أبا خالدٍ ضاعتْ خُراسانُ بَعْـدَكُمْ
وقـال ذَوو الحاجـاتِ: أينَ يَـزيـدُ؟
فـلا قَطَرَتْ بـالمَرْوِ بعـدَك قَـطْرةٌ
ولا اخْضَرَّ بالْمَـرْوَيْنِ بعدك عُـودُ[(١)]
فمـا لِعـزيــزٍ بعـدَ عِــزِّكَ بهجـةٌ
ومــا لِجــوادٍ بعــد جُــودِكَ جُــودُ

وكان يزيـدُ قد أَعـدَّ مالاً يُصـانعُ بـه الحجاجَ لِيُقْصِر من تعذيبه[(٢)]، فقال لِغلمانه: ادْفَعـوا إليه

(١) المَرْوُ، والمَرْوَين: اسمان لمدينتين عظيمتين في خُراسان.

(٢) وكان قدرُ المال: مائـةَ ألفِ درهم! كما في «وَفَيـات الأعيان» =

المـالَ، ودعـوا لَحمي للحجـاج يُقَـطِّعُــه كيف يريد[1].

= لابن خَلِّكان ٦ : ٢٧٩ ترجمة يزيد المذكور. ويُصانِع بـه: أي يقدِّمه صنيعةً ورِشْوةً للحجاج ليَكُفَّ عن تعذيبه.

(١) من «فضل العَطاء على العُسْـر» لأبي هلالٍ العَسْكـري ص: ٢٢.

٣

«وأعجب من هـذا: أن عمرَ بنَ عُبيـد الله بنِ مَعْمَر مرَّ بِـزَنْجِيٍّ يأكـلُ عند حـائطٍ ـ أي بستانٍ ـ وبين يديه كلبٌ، إذا أكل لُقمةً طرحَ له لُقمة.

فقال له: أهذا الكلبُ كلبُك؟.

قال: لا.

قال: فلِمَ تُطْعِمُه مثلَ ما تأكل؟.

قـال: إني أستحيي من ذي عينينِ ينـظرُ إليَّ أن أَسْتَبِدَّ[1] بمأكولٍ دونَه.

قال: أَحُرٌّ أنتَ أم عبدٌ؟.

قال: عبدٌ لبعضِ بني عاصم.

---

(١) أي: أنفردَ به من غيرِ مُشاركٍ فيه.

فأتى عمرُ ناديَهم فاشتـراه واشترى الحـائطَ، ثم جاءه فقال:

ـ أَشَعَرْتَ أن الله قد أعتقك؟.

ـ قـــال: الحمـــد لله وحـــده، ولِمَن أعتقني بعده.

قال: وهذا الحائطُ لك.

قال: أُشْهِدُكَ أنه وقفٌ على فُقراءِ المدينة.

قال: ويحكَ[1]! تفعلُ هذا معَ حاجتِك؟.

قال: إني أستحيي من الله أن يَجودَ لي بشيء فأبخلَ به عليه»[2].

---

(١) ويحـك: كلمة تقـال في حـال التـرحُّم والإشفـاق على المخـاطب، أمـا ويلك: فتقـال في الـدعـاء على المخـاطب بالهلاك.

(٢) من «فضل العطاء على العسر» أيضاً ص: ٢٣.

فهرس الموضوعات